

هالشبابنا لايعتني بدراسة الفقه الاسلامي ؟

ولنرجع الى ما نحن بصددده خوفا من ان يطفئ القلم وتفوت الفائدة .

كل منا يعلم ان الفقه الاسلامي ضروري لكل من يدين بدين محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي يبين لنا قواعد الشريعة واركانها ويعلمنا كيف يجب ان تكون معاملتنا في هذه الحياة طبقاً لاصول الشريعة المقدسة ونواميسها ، بيد اننا ناسف اليوم جد الاسف حينما نسمع تلك الكلمات من شبابنا الذي نعلق عليه كل الامل تلك الكلمات التي تصير حلونا مرراً وتزيدنا سئامه من العيش وضجراً من الحياة يقولون مالنا وللبحث في تلك العويصات والمشكلات التي لانتيجة وراءها ، فلان نطالع رواية من تلك الروايات الغرامية التي تعلمنا كيف نحب وترينا السبيل الذي ينبغي لنا ان نسلكه في طلب ملذاتنا وشهواتنا خير لنا من ان نتعب افكارنا في هم تلك الصور المحالة الوقوع والنظر في تلك الاقوال التي تسأم منها العقول وتجهها الاسماع ، هكذا يقولون وهاذا ما يعتقدون ولاكن الواجب يقضي علينا ان نتصدى اليوم لبيان الحقيقة بعد ان تتجرد عن الشخصيات ونرتدى حلل العدل والانصاف . إنا لانشك في أن الفقه الاسلامي قد عسر بسبب نبذ تلك الطريقة السلفية القديمة التي خطها أولئك الجهابذة العظام أولئك الذين درسوا الشريعة الاسلامية كما ينبغي وعرفوا حقاً مقاصدها التي ترمي اليها وأدركوا أنها شريعة سمحة لا تريد ان تكلفنا بما ليس في استطاعتنا الاتيان به او في الاتيان به مشقة عظيمة كما لا تريد ان تجعل علينا حرجاً

لكل امة ءامال كثيرة تعلقها على ابنائها الذين هم عدتها في المستقبل لانهم اذا ما ترعرعوا وصاروا رجالا لاشك انهم يبحثون عما تكون به حياتها وسعادتها ويسعون في النهوض بها من مستوي الجمول الى معارج الترقى والشفوق ويعملون بكل كد واجتهاد وجد ونشاط على احياء ما اندثر من سالف عزها وغابر مجدها وفخرها ، غير ان اول واجب على كل من رشح نفسه للقيام بهذه الخدمة الجليلة التي تحفظها له الايام ويسجلها له التاريخ بمداد الاعجاب والاكبار ان لا يلقي بنفسه في بحر ذلك التقليد الاعمى الذي بسببه بادت دول وهلكت امم ، بل عليه ان ينبذه وراءه ظهرياً ويطلق لفكره الجرئة في ان يختار لاصلاح حاله وحال امته سبيلاً يوافق العقل والطبيعة عله يهتدي الى الصواب وينجو من الخطر العظيم ، فلا يجعل مبدأه قولهم : (الناس اعداء لكل قديم) ويصير يتكلم بما لا يعلم ويهتف بما لا يعرف ، فاني اخشى على هذا في يوم ما ان يفوته القديم والجديد معا ويصبح من الخاسرين . نعم لأريد ان تفهم ايه القارئ اللبيب اني ادعو الى القديم حقا كان ام ضلالا خطأ كان ام صوابا ، فاني استعيز بالله من هذه الفكرة التي ترمي الى التقليد لامحالة ، لاكي أريد ان اعترف بان هناك (اغني في القديم) حسنات لا ينكرها الا معاند لم يوت شيئا من الانصاف ، فكم استفدنا منه فوائد ثمينة ، وكم اسدى الينا نصائح وارشادات لا يدرك قيمتها الا من اطعم عليها .

هذه فكري وهذا اعتقادي وكل من له مسكة من الاطلاع يدرك صوابية القول ، ولاكن لنعد هذا كله ،

ولا ضيراً بل نظرت الى ضعفنا فيسرت لنا اموراً ورخصت لنا فعل اشياء ان دعت اليها ضرورتنا في هاذة الحياة واوصتنا بعدم التعمق في الدين حتى لا يحصل لنا نصب ولا ملل . هاهو قانونها السماوي ينادي فينا صباح مساء . مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولاكن يريد ليظهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون . وهامشرعنا الاعظم صلى الله عليه وسلم يقول لنا . يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ولن يشاد هاذا الدين احد الا غلبه . إلى غير ذلك من الأدلة والبراهين التي لا تحفى على المطلعين ذهب أولئك العظام نجوم الاهتداء ومصابيح الظلام ، فحلف من بعدهم خلف سلكوا طريقا غير طريقهم ونهجوا سبيلا غير سبيلهم وابوا الا ان يتمسكوا بالجدل والاراء ، ويتفرقوا الى مذاهب وشيع يقف الانسان امامها حيران مندهشا لايعرف اي طريق يتبعه ولا اي مذهب يختاره فيعمد اولا الى ما قاله المصنفون يريد الاخذ به لولا ما يعترضه من أولئك الشارحين الذين يرددون ويبرقون ويتقنون ما يريدون بل يحملون حملة شعواء على كل من انتسب لذلك القول وتمذهب بهذا المذهب ، وبينما هو ساجح في بحر من التفكير عظيم ، اذ يرى امامه تلك الامواج المتلاطمة المخوفة المربعة فيتبينها فاذا تلك الحواشي التي تناديه قائلة : قف مكانك واستمع لما سيتلى عليك انك كدت ان تخرج عن الطريق المستقيم وتصبح من الخاسرين ، تعال فان الحق ما ستسمعه ان شاء الله وهنا يريد ان يفكر شيئا قليلا (ان كان ذا فكر حر) في الاستدلالات والمرجحات لولا ما يقرعه من تلك الاصوات التي يبلغ صراخها عنان السماء ، وليست الا اصوات ذوي التقارير الطويلة الذين يرفعون من يشاءون ويخفضون من يريدون ، فيختلط عليه

الحابل بالنابل ويفضل الجلوس في راحة وسكون على الخوض في تلك المعامع التي لا تخمد نارها الا بعد ان تاكل الاخضر واليابس . هكذا تشعب الفقه الاسلامي وهكذا كثرت فيه الاقوال والخلافات فلو رجعنا الى كتاب الله وسنة رسوله الكريم لما صعب علينا اخذ الاحكام ولما بقيتنا نخبط خبط عشواء في الليلة الظاماء . وبعد فقد رأيت قبل ختم هاذة الكلمة ان اوجه الى شبابنا (حياء الله) هاذا الاستفهام ثم ادع الجواب لافكارهم المتنورة : لقد علمنا جميعا ماحاق بالفقه الاسلامي من الاختلاف الكثير والتشعب العظيم فهل يمنعنا ذلك من ان نجنى تلك الثمار التي هي ضرورة لحياتنا بعد ان نتعب نفوسنا شيئا يسيراً ؛ على اننا اليوم بفضل آلة الطباعة ، تلك الالة العجيبة التي سهلت لنا كل صعب وقربت لنا كل بعيد قد توصلنا الى كتب قيمة خطتها بمداد الاخلاص وقلم الاطلاع يد اسلافنا المقدسين فاشئت من سهولة في العبارة وترتيب في الكلام وعدم تتبع تلك الجزئيات التي لاتنقضي الا بعد أن تتبدل الارض غير الارض والسموات ويرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فمن ارادها فليرجع اليها فلها لاتخفى عن الباحثين المعنيين ، اما أنا فقد رأيت ذكرها هنا (بحسب فكري) غير مناسب لانه ربما يعد خروجاً من موضوع لموضوع وذلك ما تاباه نفسي ويستثقله ضميري وان سمحت لنا الظروف فسنترككم عليها في غير هاذاجول الله . هاذة نصيحتي اليكم ايها الشبان المنورون فان انتم علمتم بمقتضاها وتقبلتموها بصدور رحبة فقد احسنتم لانفسكم وان توليتم عنها واعرضتم فانما عليه ماحمل وعليكم ماحتم ، وان تطيعوه تهتدوا ، وما على الرسول الا البلاغ المبين .

الطاهر بن محمد الفاسي